

المقالة الثالثة: ممر التنمية والتعمير وسيناريوهات المستقبل

إ.د أحمد يحيى راشد¹

ذكر في الوثيقة الخاصة بالقرن الواحد وعشرين فيما يختص عن بعض التساؤلات التي تتناول مشروع تنمية جنوب مصر يوليو 1997 (والتي تبلور منها مشروع توشكي احدي المحاولات الجارية لمستقبل مصر):

" وكأي مشروع جديد لابد إن تصاحبه فورة عاطفية تجنح إلى المبالغة في التفاؤل وصدود معارض يجنح إلى الإغراق في التشاؤم، وبين هذين الطرفين يأتي حديث العقل الواثق الذي يبدأ بالتساؤل هل بمقدور مصر إن تعمل وتنمو في إطار الوادي القديم وحده تاركة 95% من مساحتها رصيذا معطلا؟ وماذا يمكن إن يحدث بدون مشروع ضخم شامل خارج الوادي بعد ربع قرن على سبيل المثال؟"ⁱⁱ

ومن جهة أخرى اقترح العالم الفاضل فاروق الباز في مقالة في سبتمبر 2005 ممر التعمير في الصحراء الغربية كوسيلة لتأمين مستقبل الأجيال المقبلة في مصر:

" يعيد هذا المقال طرح مقترح كنت قد قدمته منذ سنوات بغرض إنشاء طريق بالمواصفات العالمية في صحراء مصر الغربية يمتد من ساحل البحر المتوسط شمالا حتي بحيرة ناصر في الجنوب وعلي مسافة تتراوح بين 10 و 80 كيلو مترا غرب وادي النيل، يفتح هذا الممر أفقا جديدة للامتداد العمراني والزراعي والصناعي والتجاري حول مسافة تصل الي 2000 كيلو متر. ولأن مصر في حاجة ماسة الي مخرج من الوضع الاجتماعي الصعب في الوقت الحالي بالذات، فإنني أعيد طرح المقترح عله يتم النظر فيه بجديّة، وربما للتنفيذ بأموال مستثمرين من القطاع الخاص الوطني أولا ثم العربي ثانيا ثم العالمي ثالثا".

وسواء كان المقترح ممر التنمية والتعمير - وثيقة القرن - توشكي فإن الهدف الأساسي تنمية مستدامة مستقبلية لمصر: " **وخلق وادي جديد يمتد بمحاذاة الوادي القديم ليستوعب طموحات الأجيال القادمة**"ⁱⁱⁱ، في محاولة جادة لتصحيح الاختلالات الحادة في نمط توزيع الاستثمار والسكان. وهنا لابد أن يثار التساؤل: كيف ومتي ومن هم مستوطني مصر المستقبل؟ سنجد أن طفل اليوم وحفيد الغد هما المستهدفين. ومزج سبل العلم مع الخيال هو ما يلجأ إليه الساسة والفلاسفة لصنع المستقبل وتغيير الواقع، والعلم له ثوابته، أما الخيال فلا بد أن يمتد لما نسميه (غير المبحوث) أو (غير المطروق). وتتمثل الصعوبات في أن مجال البحث المستقبلي في مصر، وإن لم يكن حديث النشأة تماما، إلا أن ما أنجز فيه من بحوث كان قليل العدد وتم في فترات متباعدة، بل وكثيراً ما كان يتوقف قبل أن يكتمل نموه وفق ما أعد له من خطط. ولذلك لم يتراكم للبحوث المستقبلية تراث كبير يمكن لمن يتصدى لها الرجوع إليه والاعتراف منه.

وفي تفكيرنا لمستقبل مصر يمكننا طرح السؤال؟ **ماذا كان يحدث لو أن نوحا عليه السلام لم يصنع سفينته قبل الغرق الكبير**^{iv}؟ هل كانت هناك حينذاك حياة علي وجه الأرض؟ فالقضية هنا: كيف سيعيش أبناؤنا؟ وماذا بينظرننا في المستقبل القريب؟ وعمل دراسات مستقبلية للتنمية المستدامة يتطلب قاعدة معرفية تساعد علي اختيار المستقبل الأفضل لمصر. تتكون هذه القاعدة المعرفية من شقين: **والشق الأول: التعليم وبناء الذات وفهم التقنية والسرعة التي تتم في التغيير**

¹ - (أستاذ العمارة والتخطيط بالجامعة البريطانية بمصر، ورئيس قسم الهندسة المعمارية بجامعة المنصورة سابقا)

مما يمكن أن يخلق تصورات بديلة للتنمية المستدامة لأعمار مصر بالصحراء في مختلف المجالات، وهو ما يطلق عليه سيناريوهات، والشق الثاني: تقدير لمنافع وتكاليف واستدامة التنمية كل سيناريو، وتصور لحالة الإنسان والمجتمع التي يتمخض عنها كل سيناريو للتنمية المستدامة في المستقبل.

ومن هذا المنطلق تتطلب المرحلة الأولى من الرؤى المختلفة لسيناريوهات التنمية المستدامة التركيز في الخطوات المهدفة (the process) بدلاً من استعجال نوعية المنتج (the product) وهو ما كان سبباً في فشل أو تعثر المحاولات السابقة التي ارتبطت بحكومات أو أفراد بدلاً من أن يكون مشروع شعب وهو ما يستهدفه العالم فاروق الباز في مقترحه وعنه يقول:

"وياحبذا لو بدأ التفكير منذ لحظة الانطلاق بمشاركة أوسع شريحة ممكنة من الناس. فيمكن لكل محافظة مثلاً البدء في إعداد قائمة بمشروعات التنمية وأولوياتها بناء على احتياجاتها الحقيقية وفي ضوء مواردها من العمالة الفنية اللازمة وقدراتها الأخرى. وفي نفس الوقت يجب عدم المساس باستقطاب عمالة أجنبية للعمل في المشروع مهما كانت الأسباب لأن المصري أو المصرية يمكن تدريبهما للقيام بأي عمل كان وبأعلى مستويات الأداء العالمية. وكذلك يمكن تشجيع شباب الجامعات من خلال مسابقات لاختيار مشاريع تنمية تقام في محافظاتهم حتى طلبة المدارس يمكنهم المشاركة بمسابقات لاختيار أسماء الطرق العرضية والمدن والقرى التي سوف تنشأ على جوانبها. مشاركة الشباب مهمة للغاية لأن الهدف من المشروع هو تأمين مستقبلهم عبر إتاحة فرص عمل لانهائية أمامهم".^٧

وعليه كانت مقولة فاروق الباز عن رؤيته واختلافها عن ما تم في السابق ودوره في الرؤية أن طرح البذرة متمثلة في المقترح والمشروع ليتحول إلي أمر شعبي ولا يرتبط بحكومة وأفراد بها أو لمدة ووقت محدد وإنما يمتد ليكون وسيلة للحياة بشراكة كافة الأطراف فإن المقترح لابد أن تدارسه من الجميع وأعلام الجميع بالقضية والمقترح والهدف، وأن التعليم والشباب والاعلام لهم دوراً أساسياً في مرحلة الدراسة.

وفي ضوء التركيز على الخطوات المهدفة للتنمية المستدامة أو عملية الأعمار بدلاً من التركيز وتعجل المنتج يمكن للمجتمع أن يختار بين مساراً أو آخر من المسارات البديلة لمستقبل أعمار صحراء مصر، ويلتفوا حوله، أو يرشحوا بديلاً آخر في ضوء تشاركتهم في وضع سيناريوهات مستقبل مصر. ومن خلال التفاعل مع هذه المعلومات يتحقق أمران على قدر عظيم من الأهمية. أولهما: تنمية رأى عام مهتم بمستقبل مصر، ورفع مستوى الوعي العام بالقضايا والتحديات التي يحملها مستقبل التنمية المستدامة في طبيته، والنهوض بالحوار حولها. وثانيهما: بلورة منهج جديد في إدارة شؤون المجتمع والدولة، تتأسس فيه عملية اتخاذ القرارات على ركائز متينة من المعرفة الشاملة والمركبة بالواقع والنظرة متعددة ومتفاعلة التخصصات إلى المستقبل.^٧

ومع توجه الدولة توازياً لعمل مشروعات إعادة تخطيط القرية المصرية وعمل حدود الحيز العمراني فإن التوجه للمحاور التنموية والظهير الصحراوي أصبح واقع مستقبلي لا يمكن أن نتجاهله بل لابد من مواجهته وتسليح الجيل القادم والأجيال المستقبلية نحو فهم وتحمل مسؤولياته.

-
- i - الجنزورى، كمال: "مصر والقرن الحادى والعشرون" ، رئيس مجلس الوزراء بمصر ، كتاب الأهرام الاقتصادي ، العدد 114 ، أول يوليو 1997 ، ص 12.
- ⁵ - الباز، فاروق: "ممر التعمير فى الصحراء الغربية وسيلة لتأمين مستقبل الأجيال المقبلة فى مصر"، جريدة الأهرام، قضايا وأراء، 3 سبتمبر 2005.
- ⁶ - دبوس، سونيا، "مع اقتراب القرن الجديد هدية الرئيس مبارك لأطفال مصر"، جريدة أخبار اليوم، 27 نوفمبر 1999، ص14.
- ⁷ - المراغى، محمود، "الخيال وصناعة المستقبل"، قضايا وأراء، جريد الأهرام، العدد 42715، السنة 127، 18 نوفمبر 2003.
- ⁸ - الباز، فاروق: "ممر التعمير فى الصحراء الغربية وسيلة لتأمين مستقبل الأجيال المقبلة فى مصر"، جريدة الأهرام، قضايا وأراء، 3 سبتمبر 2005.
- ⁹ - توشكى الحاضر والمستقبل، <http://www.mwri.gov.eg/toshka>